# منهج القريب بين المذاهب الاسلامية
# مشروع التقريب عند محمد جواد مغنية انموذجا

**اعداد : أ . د عبد الكريم الشمري**
**م : اسماء قاسم محمد الشمري**

## مقدمة

تفاقمت في السنوات الاخيرة ظاهرة التكفير وتأجيج النعرات المذهبية والطائفية و لاسيما بين ابناء الامة الاسلامية , و اصبح الانسان تائها في عالم شحت فيه روح التسامح والانسانية التي هي من مرتكزات الدين الاسلامي الحنيف , فأصبحت الحاجة ماسة الى تعميق وشيجة التقارب بين المسلمين , وترسيخ التقريب بين المذاهب الاسلامية , وارساء قواعد الوحدة والتضامن بين ابنائها لتكون قادرة على مواجهة التحديات التي تحيط بها , في ظل تزايد الخطر من النفخ في نار الفتنة الطائفية , وتصاعد حدة الصراع الطائفي الذي ينشب في مناطق عدة من العالم الاسلامي , وتفاقم الحس الطائفي الذي جاء نتيجة للجهل والتعصب المذهبي . وبقدر ما يضطرب الامن والسلم والاستقرار في عدد من البلدان الاسلامية , يزداد التوتر الطائفي الذي يعكر الاجواء , ويفسد العلاقات بين الافراد والجماعات من الشعب الواحد , ويعرض المصالح المشتركة للخطر , ومن ثم يضعف الكيان الوطني , ويفقده المناعة ضد العوامل السلبية الداخلية والخارجية , التي تشل حركة المجتمع , وتحد من تطلعاته نحو الارقى والافضل في امور الحياة كلها , فينتج عن ذلك ضرر كبير للفرد و للمجتمع والدولة , بل للأمة بأسرها . اذن فالتقريب لا يقوم الا على اساس وجود الخلاف او الاختلاف , والخلاف المشار اليه هنا هو الخلاف ما بين المذاهب الاسلامية او الاختلاف بينها وهذا ما سنتحقق منه من خلال هذا البحث المتواضع الذي يتألف من مبحثين : المبحث الاول يتضمن التعريف بنشأة المذاهب الاسلامية واسبابها ومفهوم الاختلاف واسبابه , اما المبحث الثاني فيتضمن مفهوم التقريب ومشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية ودور محمد جواد مغنية في هذا المشروع .

## المبحث الاول : ( نشأة الفرق والمذاهب الاسلامية )

### نظرة الى المذاهب والفرق الاسلامية :-

مما لاشك فيه ان أصول الإسلام التي لا اختلاف عليها بين المسلمين جميعاً هي الإيمان بالله ربا ، وبمحمد صلى الله عليه واله نبياً ، وبالقرآن كتابا منزلا ، وبالكعبة قبلة ، وبأركان الإسلام الخمسة المعروفة ، وبأنه ليس بعد الإسلام دين ، ولا بعد رسوله نبي ، وبأن كل ما بعث به مُـحَمَّد صلى الله عليه واله حق وصدق . و هذه الأصول تمثل جوهر الإسلام أو أساسياته ، وكُل من يؤمن بها فهو مسلم ، قد انعقدت بينه وبين سائر المسلمين في كل مكان أخوة في العقيدة مهما يكن المذهب الذي ينتمي إليه ، وهذه الأخوة يحرم معها أن يخذل مسلم مسلماً أو يعاديه أو يؤذيه أو ينحاز إلى من يعاديه أو يؤذيه , " قال رسول الله صلى الله عليه واله : من شهد ان لا اله الا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم , وعليه ما على المسلم " [١]

كانت نشأة المذاهب الفقهية في القرنين الثاني و الثالث , وهذا العصر كان من أزهى عصور الاجتهاد في الفقه الإسلامي ، و عصر نهضة المذاهب الفقهية الكبرى ، وعصر التدوين و التأليف . و لا يعد عصر الازدهار و النهضة الفقهية فحسب ، وَإنما هو عصر النهضة الفكرية والعلمية في العالم الإسلامي ، وإن هذه النهضة كانت الأساس الراسخ للثقافة الإسلامية في عصورها المختلفة .

لكن اذا كان هذا حال عصر نشأة المذاهب الاسلامية فلماذا ينسب الى هذا العصر بأنه بداية انشقاق الوحدة الاسلامية ؟ وما هي الظروف التي احاطت بظهور تلك المذاهب مما جعلها سببا في الاختلاف والفرقة ؟

" ان ظاهرة وجود مدارس ومذاهب فكرية وفقهية مختلفة في الاسلام ظاهرة طبيعية لا يمكن اجتنابها , وهذه الظاهرة لم يسلم منها اي دين , بل شملت جميع اديان الانسان قبل الاسلام , سواء الاديان السماوية الابراهيمية كاليهودية والمسيحية او الاديان الوضعية كالهندوسية والبوذية وغيرها " [٢] .

و لعل ابرز ما قام من خلاف في الاسلام كان " بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه واله هو خلافهم في مسألة الامامة , ولم يسل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الامامة . ومع ان الرسول صلى الله عليه واله لم يترك الامة سدى بل نصب خليفة واماما للمسلمين يقوم بوظائف النبوة بعده – وان لم يكن نبيا – لكن رغم ذلك فقد نشب خلاف بين نفر من المهاجرين والانصار وكثر الخلاف بينهم في اجتماع سقيفة بني ساعدة الذي عقد قبل تجهيز النبي و مواراته , فكانت تلك الواقعة الحجر الاساس لتفرق شمل المسلمين وتناحرهم و شج وحدتهم " [٣] . فأنقسم الناس على اثر تلك الحادثة على فرقتين فرقة تشايع الخلفاء وفرقة تشايع علي واهل بيته عليهم السلام حتى يومنا الحاضر , لكن بعد ذلك تشكلت عدة عوامل كانت السبب في ظهور المذاهب والفرق وكان منها الاحداث التي رافقت " خلافة عثمان بن عفان التي ادت في النهاية الى مقتله سنة ٣٥ ه " [٤] . ليتولى خلافة المسلمين من بعده علي ابن ابي طالب عليه السلام , فدامت خلافته ما يقارب الست سنوات حتى كان يوم ٢١ من شهر رمضان من سنة ٤٠ للهجرة وحين كان يؤم المسلمين في صلاة الفجر في مسجد الكوفة ضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه بسيف مسموم ليمضي الى ربه شهيدا بعد ثلاثة ايام , " وكان عمره ٦٤ عاما بحسب بعض الاقوال " [٥] . بعد شهادة الامام علي عليه السلام واقصاء ابنه الامام الحسن عليه السلام عن الخلافة وحقنه لدماء المسلمين , اصبح المسلمون منقسمين على تيار عام , وتيار مناصر لأهل البيت عليهم السلام وفرقة الخوارج والمرجئة [٦] .

في بداية الامر كانت اسباب الانقسام سياسية اجتماعية اكثر من كونها اسبابا عقائدية , وبقي اساس انشعاب الفرق الاسلامية موضوع الامامة , والموقف من الخلفاء من هذا الاطار , ثم تحول الانقسام فيما بعد ليأخذ طابع الانقسام بالمعنى العقائدي الفقهي , وتشكلت على اثر ذلك لدى كل جماعة عقائد وفتاوى تتناسب مع مواقفها السياسية وتدعم آراءها . وتمخض عن اختلاف الآراء في المسائل العقائدية المطروحة آنذاك مثل : " الامامة وشروطها و حكم مرتكب الكبيرة , الانسان مجبر ام مخير و صفات الله الخبرية , وطريقة فهمها وتفسيرها , وما معنى كلام الله ؟ وهو مخلوق ام هو صفة لله غير مخلوقة ؟ و الله تعالى يرى بالعين ام لا ؟ و الجنة والنار مخلوقتان ام لا ؟ كل هذه الاشكالات التي طرحت شكلت جميعها بما عرف بعلم الكلام , اي علم الجدل , والعقائد الدينية واصول الدين , وسمي بعلم الكلام لان اشهر مسألة بحثت فيه هي مسألة الكلام الالهي : القران مخلوق ام غير مخلوق ؟ " [٧] فضلا الى اسباب اخرى لا يسعني التفصيل فيها لكي اتجنب الابتعاد عن غرض موضوع البحث .

**التقريب بين المذاهب الاسلامية :-**

**مفهوما التقريب والاختلاف : -**

التقريب في اللغة , اصله : قرب " قرب الشيء : قربا وقربانا : دنا منه , ويقال قرب منه , وقرب اليه " [٨] . والتقريب بين المذاهب الفقهية وفقاً لهذا المعنى هو محاولة ايجاد تعارف والتقاء بينها ، وهذا يشير إلى أن هناك حالة من التنافر والتباعد ، كان السبب لإطلاق لفظ التقارب ، فيكون التقارب هنا وسيلة لجمع الشمل ورأب الصدع ، وتبادل حسن الظن ، من أجل وحدة الأمَّة ، ولهذا لا يراد بالتقريب إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب ، ولا هو دعوة للاختلاف ، و إنما كُل ما يشير إليه أن الاختلاف في مجال الدراسات الفقهية لا يعدّ قدحا ، وأن الفقهاء في اجتهادهم لم يخرجوا على أصول دينهم . كذلك فأن التقريب لا يعني إلغاء المذاهب ، أو دمجها بعضها مع بعض ، أو تغليب مذهب على آخر، فهذا ما لا جدوى منه , لأن عامل الاختلاف في الرأي بين المذاهب في إطار المفهوم الإسلامي من عوامل ازدهار الحياة الفقهية ونموها ، وتقديم الكثير من وجهات النظر التي ترى فيها الأمة سعة ويسراً في الأخذ والتطبيق بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان . اما الاختلاف " فأصله خلف , وتخالف القوم و اختلفوا اذا ذهب كل واحد الى خلاف ما ذهب اليه الاخر , وهو ضد الاتفاق " [٩] . ويمكننا النظر الى عامل الاختلاف من منظورين هما : الاختلاف في النوع , والاختلاف بالضد مع الاخذ بنظر الاعتبار ان ليس

كل مختلفين ضدان [١٠] . فالاختلاف في النوع لا يعد تباينا , كاختلاف انواع الطيور , واختلاف انواع الزهور وهذا الاختلاف لا يترتب عليه التنافر والتباعد , ويمكننا ان نصفه بالاختلاف الايجابي لأنه يشكل تنوعا , والتنوع ايجابي بحد ذاته . اما الاختلاف الاخر فهو ما يحمله المقابل من صفة تضاد تماما لصفة ما يقابله , كالاختلاف بين النور والظلام , وهذا الاختلاف سلبي لأنه يحمل صفة التضاد , فإذا طبقنا هذا الكلام على مسألة الاختلاف بين المذاهب فألى اي نوع ننسب اختلافهما ؟ و الجواب على ذلك نقول : ان هذه المذاهب ما دامت تعبد ربا واحدا وتؤمن بالنبي المرسل ورسالته , وما دام الانسان خلق من اصل واحد ويجمع تعدد اجناسه وعرقه ولونه مبدأ الانسانية , فأن الاختلاف بينهم اختلاف نوعي يشابه تماما ما سبق ذكره في المثال , اذن الاختلاف فيما بينهم نوعي وهو ايجابي لا محالة . وما دام التقريب لا يراد به إلغاء الخلاف بين المذاهب أو إلغاء المذاهب ذاتها ، أو إدماج بعضها في بعض , اذن فالغاية منه احياء روح التعاون و التفاهم بين المذاهب من اجل تقوية اواصر الاخوة الاسلامية , و " العمل على تشخيص المسائل والقضايا المشتركة بين المذاهب , والمسائل المتفق عليها في مجال العقيدة , والفقه , وكذلك السعي الى ايجاد طرق وفاق بين المسائل الخلافية , من منظور التقارب وحسن التفاهم وبما يوضح الفروق بين المسائل الخلافية الفرعية , وبين المسائل الخلافية الاصولية حتى لا تضيع الاصول في ترجمة الاختلافات الفرعية , مع العمل على التسلح بالدليل القاطع والبرهان الصحيح , المستنبط من مصادر التشريع الاسلامي الصحيحة , دون التسرع في الحكم على اهل القبلة بأي من الاحكام المفرقة , كالتكفير او التفسيق او رمي المسلم بالشرك , او اتهامه بالخروج عن جادة الاسلام , مع الالتزام بمبدأ التجرد عن التعصب المذهبي والابتعاد عن الطائفية الضيقة , وضرورة تحري الحقيقة الاسلامية وبناء الاحكام على اسس الادلة الصحيحة " [١١] .

**اسس التقريب بين المذاهب الاسلامية :-**

قبل الانطلاق في التعريف بأسس التقريب بين المذاهب الاسلامية , من الضروري ان نذكر ان الدين الاسلامي انما قام على اساس الوحدة بين المسلمين , فسمي المسلمون امة و ليسوا امم اسلامية على وفق الآية القرآنية : ( ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ) [١٢] . فالأساس الاول هو الوحدة الاسلامية .

**الاساس الاول : الوحدة الاسلامية :-**

الوحدة هي " تعدُّد مختلِفٌ يتكامل . فلا وحدة بلا تعدد ، ولا وحدة بلا اختلاف ، ولا وحدة بلا تكامُل " [١٣] . و الوحدة لغة هي : " وحد : الواو والحاء والدال : اصل واحد يدل على الانفراد . من ذلك الوحدة . وهو واحد قبيلته , ان لم يكن فيهم مثله . كقولهم : لقيت القوم موحد موحد . ولقيته وحده " [١٤] . و" الواحد : اول الحساب " [١٥] . و توحد : بقي وحيدا و وحده توحيدا : جعله واحدا " [١٦] .

اما اصطلاحا فالوحدة هي " اتحاد الدول او البلاد والافراد والجماعات في سائر امور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم , وبموجب هذه الوحدة , يصبح الجميع شيئا واحدا او امة واحدة " [١٧]. ولكن اذا كان الناس متفرقين على جماعات ودول فهذا يعني ان كل مجموعة او دولة سيخضع الناس فيها الى فكر معين ويسيطر عليها مذهب معين او قد يكون افرادها يتمتعون بالاستقلال فكيف يتم لم شملهم وتوحيدهم ضمن كيان واحد ؟ بالنسبة للامة السلامية فان ذلك يتم من خلال تحكيم القران والسنة النبوية وبذلك فيكون السنة والشيعة طائفة واحدة لان ما يحكمهم اله واحد ونبيهم واحد الامة , لان الاختلاف بين المذاهب لا يقف عائقا في طريق وحدة المسلمين فالاختلاف " ضرورة يفرضها واقع الانسان بما هو انسان لا بما هو سني وشيعي , والوحدة التي دعى اليها تجري من باب اصلاح ما افسده الماضين والتخلص من مخلفاته وتعصباته وان تكف كل طائفة عن تكفير الاخرى " [١٨] .

**دلالة الوحدة في القران الكريم : -**

يجسد القران الكريم في كثير من آياته مفهوم الوحدة , مؤسسا لمبادئ قويمة يبنى عليها كيان المجتمع الاسلامي بصفته امة واحدة , و يتجسد مفهوم الوحدة فيها من خلال التعايش السلمي , والتكيف وقبول الاخر , انطلاقا من عبادة اله واحد : ( ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فأتقون ) [١٩] . ويجمعهم دين واحد لا اختلاف في اصوله . ولم يقتصر مفهوم الوحدة في القران الكريم بوصف الامة الواحدة بل

تنوعت أساليبه في الدعوة لهذا المفهوم فكان يأمر الناس بهذه الوحدة ويدعو اليها من خلال الدعوة الى التماسك والتعاضد فيما بينهم بالتمسك بحبل الايمان ونبذ التفرقة والشقاق : ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) [٢٠] . كذلك نجد مفهوما للوحدة يتمثل بصورة أخرى حين نجد أن القرآن الكريم يأمر بأشياء للوصول إلى الوحدة , منها الإصلاح بين الأخوين وإصلاح ذات البين فهي من الأمور التي تخلق الوحدة بين المسلمين قال الله تعالى : ( انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ) [٢١] . ومن أساليب القرآن والسنة في الدلالة على وجوب الوحدة بين المسلمين , النهي الصريح عن الافتراق والاختلاف فنجد ذلك في قوله تعالى

: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [٢٢] . كذلك نجد في القران أسلوباً آخر يحث المسلمين على الألفة والتقريب وهو أن يكون المؤمنون أولياء بعضهم و يحب احدهم الآخر، وعندئذ تكون الرحمة قد نزلت عليهم لتآخيهم ومودتهم وحبهم فيما بينهم .

قال الله تعالى: ( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) [٢٣] . هكذا تنوع مفهوم الوحدة في القران والغاية من هذا التنوع حث المسلمين بشكل عام بكل ما يزيد المحبة بينهم ، والنهي عن كل ما يولد البغضاء بينهم ، وتأمرهم صراحة بأن يكونوا إخوة ، ولا يمكن للمسلمين أن يكونوا إخوة إلا إذا كانوا متحدين غير متفرقين ، فإن الأخوة ضد الفرقة والاختلاف . و لا يخفى على مسلم تجلي مبدأ الوحدة الذي جسده النبي محمد صلى الله عليه واله في صدر الاسلام عندما اخى بين المهاجرين والانصار في المدينة , حتى اصبحوا متآلفين متراحمين بينهم , يصدق بعضهم بعضا , ويؤازر بعضهم بعضا , وكل ذلك كان قائما على اساس الدين الواحد والايمان بالله تعالى والاعتصام بحبله . هذا كان الاساس الاول من اسس التقريب اما الاساس الاخر فهو الحوار .

**الاساس الثاني :- الحوار وقبول الاخر**

يتمثل الاساس الثاني للتقريب بين المسلمين بواحد من اهم سبل البحث الموضوعي عن الحق و هو الانفتاح على الرأي الاخر ومحاورته , و لمفهوم الحوار دورا بارزا في المجال الثقافي والمعرفي , لذلك نجد ان القران الكريم يدعو الانسان الى التفكير فيما يتبنى من اراء ومعتقدات وان لا يحصر نفسه في ممر ضيق يجبره على السير في اتجاه واحد دون خيار , و ان لا ينغلق على موروثاته من ابائه واسلافه من دون دراسة وتمحيص ولا يرفض الانفتاح في اي فكرة ومحاكمتها على ضوء العقل لقبولها ان كانت اصح وافضل .

ان الدين الاسلامي دين السماحة والانفتاح , وهذه المبادئ ترفض الانغلاق والتعصب , والخطوة الاولى في الانفتاح هي الانفتاح على الذات بأن يتعرف الانسان على امكاناته وثرواته ثم يتطلع الى الامكانات الاخرى فاذا رأى فيها افضل او ما يمكن اضافته الى ما لديه فسيكون اقرب الى الصواب اذ ليس كل آخر هو افضل وليس كل جديد احسن , ومن الممكن ان يكون الرأي الاخر باعثا للإنسان لمراجعة رأيه وتفحصه وادراك نقاط قوته وامتيازه ، ان مجرد الانتماء الاسمي للدين او المذهب وممارسة بعض الشعائر والتقاليد لا تكفي لتوفير معرفة حقيقية تجعل الانسان قادرا على المقارنة والتقويم [٢٤] . فالتقريب بين الآراء المختلفة هو الذي يعمق من خيار التسامح في المجتمع ولا يعني التفاهم الذي نقصده هنا تطابق وجهات نظر الجميع في مختلف القضايا والامور لان ذلك مستحيل من الناحية الطبيعية والواقعية .

اما في اللغة فمفهوم الحوار يدل على " التحادث و التجاوب " [٢٥] . " وحاوره : محاورة و حوارا : جاوبه و جادله وفي التنزيل العزيز ( قال لصاحبه وهو يحاوره ) " [٢٦] . " فالحوار حديث يدور بين شخصين او اكثر " [٢٧] . اذن فالحوار يستلزم طرفين أو أكثر، ولا يتم إلا في جو أدبي يتيح السمع والقول بين المتحاورين . ونلاحظ من خلال ما تقدم ان دلالة الحوار تتسع معجميا لتشمل معنى : المجادلة [٢٨] ، والجدال يعطي فرصة للقول والمراجعة بين المتحاورين ، فالرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، يدخل ضمن معطيات الحوار، و الحوار يعطي الفرصة لتعديل الرأي والرجوع عن مواقف وأمور، وهذا ما أشارت إليه المعجمات اللغوية , والتغيير يكون تبعا لمستجدات في العقل أو الحياة أو الأشياء وهذا يعني الرجوع أيضاً .

والحوار ظاهرة مجتمعية إنسانية ، تنشأ مع نشأة المجتمع البشري ، لأن اللغة قاسم مشترك بين البشر، ومن وظائف اللغة التعبير عن حاجات الإنسان ومتطلباته المتصلة بحاجاته الإنسانية من طعام وشراب وغيرهما ، أو في المستويات العليا من النقاش الفكري والديني والاجتماعي . و يفترض في الحوار الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس ومن هنا ، انتقل الحوار إلى ما ينتجه العقل البشري من آداب وحكمة ونصوص ، ذلك أن الأدب صورة وانعكاس بشكل مباشر أو غير مباشر من النشاط الإنساني العقلي واللغوي والاجتماعي يكاد يكون الحوار قاسما مشتركا بين سائر الأشكال الأدبية كالمسرحية , والقصة , والرواية , والمناظرة والحكمة , والعظة و في الشعر فهناك الكثير من القصائد التي تشمل الشكل القصصي الحواري ، وكذلك حوار شعري يكون بين الشعراء أنفسهم .

**المبحث الثاني : ( محمد جواد مغنية و مشروع التقريب بين المذاهب )**

**محمد جواد مغنية :**

" اسمه محمد جواد , اسم مركب واسم ابيه محمود " [٢٩] اما عائلته فجده " الشيخ محمد آل مغنية كان ذا زعامة ووجاهة تجمع بين النفوذ السياسي والديني وكان يملك الكثير من الاراضي وعنده العديد من فلاحي المقاسمة " [٣٠] , اما والده فهو" الشيخ محمود بن الشيخ محمد بن الشيخ مهدي ال مغنية , ولد سنة ١٢٨٩ ه " , كان عالما ذا شأن , فاضلا , كريم الخلق , حسن السجايا قارئ القران " توفي في اثناء الحرب العالمية عام ١٣٣٤ه ودفن في طير دبا " [٣١] , اما والدة محمد جواد مغنية فيذكرها في تجاربه اذ انها رحلت عنه الى جوار ربها وهو ما يزال طفلا في الرابعة من عمره " ولا يذكر من ملامحها شيئاً " [٣٢] .

في مرحلة مبكرة من حياته هاجر مغنية من قريته متوجها الى العاصمة بيروت طلبا لتغيير الحال , وفي بيروت واجه ضروبا جديدة من الحياة اضافت له خبرة جديدة في مواجهة مصيره , و كان لهذه السنوات من حياته اثرا بالغا في شخصيته وتكوين افكاره فقد كان هذا البناء يرتفع بلبنات الصبر والمثابرة وقد كرس جهده في التعلم من تلك السنوات " فأنعجنت المشاق مع روحه , وسرت بدمه لتتحول خميرة ذلك الى عقل مفتوح وفكر مستنير في فهم الاسلام ودور عالم الدين , ونفس مرهفة شفافة بازاء الام الناس ومعاناة المستضعفين [٣٣] .

**مفهوم الخلاف والاختلاف عند محمد جواد مغنية :**

يلخص محمد جواد مغنية مسالة الاختلاف التي حلت في الامة الاسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه واله بثلاثة امور : الاول اختلافهم في الخلافة بعد الرسول واختلافهم في مسألة مقتل عثمان وما رافق ذلك من احداث وفتن واخيرا اثار التحكيم الذي حصل بعد معركة صفين وما ترتب عليه من اختلاف المسلمين , وهذا ما اسماه بالخلاف السياسي اما الجانب الاخر فتمثل بالخلاف العقائدي الذي كان في امور منها : رؤية الله و صفاته و خلق القران و الجبر والاختيار و التحسين والتقبيح وعصمة الانبياء , وصفات الامام وبعض احوال المعاد , لكن هذه الخلافات العقائدية استغلت سياسيا لأثارة الفتن وذلك من اجل تحقيق اغراض ومصالح سياسية [٣٤] . هذه باختصار فكرة اختلاف الامة عند مغنية والتي سعى بعلمه وقلمه من اجل العمل على تقليل اثره فيما بعد بين ابناء الامة الواحدة فكان من ابرز الداعين الى التقريب بين المذاهب من خلال تقريب وجهات النظر المختلفة ما دامت هذه الوجهات تلتقي عند اله واحد ونبي واحد وكتاب واحد , ومهما تكن الاسباب التي خلفت المذاهب المتعددة فيبقى الاسلام اعم من المذهب فالمذهب واحد والاسلام يشمل كل المذاهب حتى لو ان كل مذهب من هذه المذاهب قد انفرد بقول يخالف سائر المذاهب الاخرى فلا يسوغ بحال لاحد عده خارجا عن الاسلام ما دامت جميع المذاهب تعود تنتمي وترجع جميعها الى الاسلام , لان نفي الاسلام عن احد المذاهب يستتبع نفيه عن الجميع وثبوته يستدعي ثبوته للجميع وهذا بديهي كبداهة المسائل الرياضية فالمساويان لثالث متساويان [٣٥] . لذلك سعى مغنية ليكون في طليعة الداعين الى مشروع التقريب بين المذاهب .

يعد مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية و توحيد الأمة الإسلامية ، أمام التحديات و المخاطر التي تحيط بها من كل جانب ، أمل من الآمال الّتي يتطلع إليها كل مصلح غيور على هذه الأمة في العالم الإسلامي . والحديث عن هذا المشروع ، هو حديث عن صورة من صور العلاقات الفكرية والاجتماعية

والإنسانية ، ضمن إطار الأمة الواحدة ، و يكشف عن نوازع الاختلافات المذهبية والطائفية ، ليتم الوقوف عليها والعودة إلى مصادرها الصحيحة ، من اجل تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في إعادة اللحمة بين أبناء الإسلام ، وتضييق هامش الفرقة بين أتباع الأمة الإسلامية.

من هذه النقطة انطلق في الحديث عن ما قدمه محمد جواد مغنية في التقريب بين المذاهب الإسلامية . وسعيه الحثيث في تقليص الفجوة بين عقول وأفكار أبناء الأمة الإسلامية ، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، و ردمها بين القلوب والمشاعر، فمشكلة الاختلاف في حقيقتها لا تقف عند الاختلاف بين المذاهب أو في تعدد مناهجها أو تنوع اجتهاداتها ، وإنما المشكلة في طريقة الفهم والنظر لهذا الاختلاف والتعدد والتنوع , " فالاختلاف لا يدل على فساد المنهج " فكما يحصل الاختلاف والنزاع بين الفلاسفة في الآراء الفلسفية واختلاف العلماء في الكثير من الآراء والنظريات العلمية فان ذلك لم يمنع من طرح الآراء [٣٦] , ونقضها وتكذيبها حتى يتبين منها الحق . وينطلق محمد جواد مغنية في مشروعه التقريبي من مبدأ ان اصل الخلقة لبني الانسان واحدة , وهذا يحتم عليهم المساواة بينهم , والمساواة مبنية على الحب , مشبها هذا الحب في عمومه بين الناس كرحمة الله التي وسعت كل شيء فلا يفرق بينهم الاساس الديني كما يحدث في لبنان , ولا غير ذلك من المسائل التي زرعتها بعض التيارات للتفريق بين الناس . فالإسلام جاء ليعزز التعاون والتكافل , ولعلنا نجد ذلك واضحا جليا في الكثير من آيات الذكر الحكيم , ويستشهد محمد جواد مغنية على ذلك بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٣٧] . فهذا النداء السماوي الذي يخاطب الانسان بغض النظر عن جنسيته او عرقه , دليل قاطع على ان دعوة القران الكريم دعوة انسانية عالمية , تعتبر الانسان اخا للإنسان مهما كانت عقيدته و قوميته وجنسيته [٣٨] . اما رايه في مسألة اساس اختلاف المسلمين وهي الامامة والتي اولاها اهتماما عظيما وعمل جاهدا من اجل التقليل من اثرها السلبي , فهو يرى ان الامام او الخليفة هو الرئيس الديني والزمني للمسلمين , وانه لا يختلف عن سائر البشر في طبيعته , لكنه دون النبي وفوق البشر , يرث النبي في علمه لذلك فهو يعرف ما يصلح للناس وما لا يصلح لهم , فيعمل دون ان يستأثر عنهم بشيء , وهو مصدر التشريع بعد القران والسنة , وقد اختلف مفكرو المسلمين من الشيعة فيما بينهم اصلا حول مسألة الامامة , فمنهم من اعتبرها اصلا من اصول المذهب , ومنهم من اعتبرها اصلا من اصول الدين , فكان مغنية مع من اعتبرها اصلا من اصول المذهب , وضرورة من ضروراته , وعلى ذلك فأعمال المسلم من دون الاعتقاد بها صحيحة وحتى انكارها لا يؤدي الى خلل في اسلامه [٣٩] .

وعلى هذا الاساس " فالأولى ان يكون السنة والشيعة طائفة واحدة حقيقة وواقعا , لان كتابهم واحد وهو القران الكريم , لا قرانان , ونبيهم واحد , وهو محمد , لا محمدان , فكيف اذن يكفر بعض من الفريقين اخوانهم في الدين , ولو نظرنا الى الآية ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ) لقد كفر اليهود النصارى , وكفر النصارى اليهود ( وهم يتلون الكتاب ) اي التوراة والانجيل , فكيف بالمسلم يكفر اخاه المسلم , وهما يتلوان نفس الكتاب ؟ " [٤٠] .

وقد شاءت قدرة الله تعالى الى ان يجعل البشر بمراتب متباينة في العقول والمدارك , الى جانب اختلاف السنتهم والوانهم والتصورات والافكار , وكل تلك الامور تفضي الى تعدد الآراء والاحكام وتختلف باختلاف قائليها , " واذا كان اختلاف السنتنا والواننا ومظاهر خلقنا اية من آيات الله تعالى , فأن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول اية من آيات الله تعالى كذلك , ودليل من ادلة قدرته البالغة , وان اعمار الكون وازدهار الوجود , وقيام الحياة لا يتحقق اي منها لو ان البشر خلقوا سواسية في كل شيء , وكل ميسر لما خلق له ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ) . ان الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الامة ولا يزال واقعا , جزء من هذه الظاهرة الطبيعية فأن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل التزمت آدابه , كان ظاهرة ايجابية كثيرة الفوائد " [٤١] .

لكن هذه الظاهرة انحرفت عن المسار الصحيح واتخذت مسارا اخر غير الذي اريد لها وفق السنن الالهية , فأصبح ذلك الاختلاف النار التي يتقاذفها اتباع الدين الواحد فيما بينهم , فطالما اراد اعداء الاسلام ذلك وعملوا على تيسير السبل اليه , وكان افضل تلك السبل هو الغزو الفكري والثقافي [٤٢] .

فبعد فشل الصليبيين في السيطرة على البلاد الاسلامية نتيجة المقاومة العظيمة التي ابداها المسلمون في حروبهم مع الصليبيين , اتجه الصليبيون الى استحداث اسلوب جديد لتحقيق اهدافهم , فلم يجدوا اسلوبا افضل من الغزو الفكري الذي بدأ بحركتي الاستشراق والتبشير التي تولدت عن الاستعمار, " فالاستعمار يرى في المفهوم الاسلامي السليم ما يعطي المجتمع الاسلامي قوة تحول بينه وبين سيطرة الاستعمار , فعمل المستشرقون على تقويض العقيدة الاسلامية , واحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها , تحت مسميات : الحضارة , او العالمية , او وحدة الثقافة والفكر البشري . اما التبشير فأنه يستهدف الحيلولة دون توسع الاسلام وانتشاره , وعدم منافسته للمسيحية في البلاد التي تحاول القيام بالتبشير ونشر المسيحية فيها " [٤٣] . وتحت تلك المسميات اثمر الغزو الفكري للإسلام والمسلمين " ان قام بعض مفكري المسلمين باستحداث حركات تقدمية في الاسلام فأدخلوا بها على الاسلام ما ليس منه , واخرجوا بها منه ما هو في صميمه , وزعموا ان هذا الخلط هو الاصلاحات الاسلامية التي يجب ان يقوم بها المسلمون ليعيشوا عيشة متحضرة تتلاءم وتواكب الحضارة الاوربية التي اصبحت في نظرهم مثلا يحتذى " [٤٤] .

فقد كانت الأفكار الوافدة من الشرق والغرب كالأفكار الشيوعية السوفياتية ، والافكار الليبرالية القادمة مع الرأسمالية الغربية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ذات تأثير كبير فاستولت على العقول ولاسيما عقول الشباب , مما أدى إلى نفور الشباب من الدين وانفتاحهم على تلك الأفكار .

ومن ثمار هذا الغزو " تأجيج نار الخلافات المذهبية بين المسلمين والتشجيع على توسيع الهوة بين المختلفين , واعادة نيران الفتن بعد ان خبت بمرور الزمن , وذلك عن طريق ما قام به المبشرون والمستشرقون من دراسات وبحوث , وما سجلوه في دوائر المعارف المنسوبة اليهم والمتخصصة في الاسلام والمسلمين , وعن طريق ما قاموا بعقده من مؤتمرات اكدوا فيها مقررات غاية في الخطورة وعن طريق ثالث وهو :تعمدهم تشويه الفكر الاسلامي وتهجمهم على الاسلام والقران والسنة النبوية وشخص الرسول صلى الله عليه واله , وتشويههم الحضارة الاسلامية والتاريخ الاسلامي والتراث الاسلامي " [٤٥] .

لذلك كانت المهمة الملقاة على عاتق المصلحين تبدو غاية في الصعوبة وربما هي شبه مستحيلة .

ونستنتج مما سبق ان مغنية بعد ان يبين اسباب الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه واله فانه يميز بين مفهومين فما وقع بين المسلمين كان اختلافا , والاختلاف ظاهرة طبيعية وهو من السنن الالهية , لكن ما اصاب الامة بعد ذلك والى يومنا هذا فانه الخلاف وليس الاختلاف ويعزو اسباب هذا الخلاف الى قوى خارجية تمثلت بالاستعمار فينبه على ذلك من خلال طرحه لسؤال مفاده : انه اذا لم تكن اثار الخلاف والانقسام موجودة في القران او السنة فاين يكمن التعدد ومن اين جاء التسنن والتشيع ؟ فيجيب عن هذا التساؤل ان السياسة هي التي زرعت هذا التشظي بين ابناء الامة الواحدة " فان الامة بليت بعد الخلفاء الراشدين بحكام الجور والفساد والحاكم الخائن سواء كان هذا في هذا العصر ام في سالف العصور فانه لا يستطيع ان يحكم الا اذا تعددت الكلمة , وتفرق الشعب شيعا واحزابا وكان الخليفة في السابق يحكم بأسلوب الدين فسعى لتفريق المسلمين الى سنة وشيعة " [٤٦] , فاستغل الاستعمار هذه الثغرة وعمل بكل ما اوتي من قوة على اضعاف الشعوب الاسلامية وحاول ان يربط ضعف الامة بضعف الدين ويجعله سبب تأخر الامة فيقول في ذلك : " ان ضعفنا لا يرجع الى قيمة ديننا كدين وانما يرجع الى عوامل اخرى , كالضغط الاجنبي , او نقص التربية , او جهل في القوة التي تتمرس على فهم الدين وعرضه [٤٧] , وهذا يعني ان مغنية يلقي اسباب الخلاف على عاتق الاستعمار اولا ثم الجانب التربوي المتمثل بالأسرة والهيأة التعليمية وضعف المناهج فيها ثم المدارس الدينية والحوزات العلمية و رجال الدين . وفي الواقع فان مغنية قد شخص حقيقة الخلاف بصورة دقيقة ورغم الفارق الزمني ما بين يومنا والزمن الذي عاشه مغنية على الرغم من ان الامة الاسلامية قد تحررت من نير الاستعمار نجدها ما زالت ترزح تحت فكره على الرغم من دعوات الاصلاح التي نادى بها مغنية ومن سبقه من العلماء والمفكرين والمصلحين ما زالت القوى الخارجية ما زالت تمارس ضغطها على حياة الانسان المسلم بشتى الطرق .

**منهج التقريب بين المذاهب عند محمد جواد مغنية :**

لقد ادى محمد جواد مغنية دورا بارزا في مقارعة الوضع المتردي لواقع المجتمع الاسلامي فكان سلاح العلم والعقل من انجع الاسلحة في مقاومة الغزو الفكري والثقافي للتيارات والاتجاهات الدخيلة , حين وجد ان صفة رجل العلم تحتم عليه ان لا يقف مكتوف الايدي وهو ينظر الى من يدس ويفتري على الاسلام , ويهدم جسور الوحدة , ويزرع الفتنة بين من يشهدون لله بالوحدانية , وبرسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله , ويحجون الى البيت , ويصلون الى قبلة واحدة . فأن امة هذا شأن ابنائها لابد لها من توحيد الكلمة على الانسانية , ورفض المنازعات الدينية , والنظر الى الموروث نظرة متفحصة باحثة لا يشوبها التعصب ولا يحكمها التقليد [٤٨] .

لقد كانت نظرته الثاقبة وعلمه المتقد يقودانه للنظر الى حيث ما يمكن ان يلم شتات هذه الامة ويجمع كلمتها على الدين الواحد من خلال التركيز على ما اتفقت عليه المذاهب وجعله حلقة الوصل بين الاطراف المختلفة , ولعل كثرة المشتركات بين المذاهب جعل من السهولة التعاون فيما بينها , والتسامح فيما لا يجتمع عليه طرفان او اكثر .

اعتمد محمد جواد مغنية في منهجه التقريبي على ركيزتين اساسيتين هما : تفعيل دور الاجتهاد , لان الاجتهاد يعطي العقل دوره في استنباط الاحكام , وامكان استنتاج الفروع من الاصول , فحجر العقل ومن ثم هو حجر للدين , و سد باب الاجتهاد هو سد لباب الدين او الاعتراف بأن العقل لا يدعم الدين [٤٩] . و مفهوم الاجتهاد يدل على بذل الجهد في سبيل البحث , ففي اللغة الاجتهاد : اصله " جهد : الجيم والهاء والدال , اصله المشقة , ثم يحمل عليه ما يقاربه " [٥٠] . و يعرفه مغنية في الفقه هو " استخراج الفرع الشرعي من اصله , والاستدلال عليه بدليله " [٥١] .

اما الركيزة الاخرى : فهي ان لا يأخذ اراء الغير ومعتقداتهم الا من اقوالهم وتصريحاتهم , فلا يمكن الاعتماد في معرفة عقيدة ما لطائفة او مذهب الا من خلال كتب العقائد المعتبرة عندهم فالاعتماد على كاتب او مؤلف لا يدين بتلك العقيدة فلا يخلو حاله من ان يكون " جاهلا متطفلا فيحرف الواقع على غير قصد او دراية , او حاقدا متحاملا فيفتري بقصد التنكيل والتشهير , او خائنا مستأجرا فيكذب ويدس بقصد التفرقة وايقاظ الفتنة .. بل لا يجوز الاعتماد على اقوال راو او كاتب من ابناء الطائفة نفسها اذا لم تجتمع كلمتها على الثقة بمعرفته وعلمه " [٥٢] . ومن خلال ذلك اراد مغنية ان يبين اهمية الرجوع الى المصادر الصحيحة للفقه لكل مذهب وسد الطريق امام الغلاة من الفريقين , وذلك لخطورة الدور الذي لعبوه في بث الشقاق والنزاع بين السنة والشيعة بسبب ما كتبوه ونسبوه من الاقوال والروايات التي تزرع الحقد والبغضاء بين الطرفين مما " جعل الداعين من السنة الى تكفير الشيعة , يحتجون بأقوال الغلاة المرفوضين اصلا من الشيعة . والداعين من الشيعة الى التهجم على السنة دون تكفيرهم , ويحتجون ايضا بأقوال الغلاة من السنة , ولهذا يبدو ان الغلاة من الطرفين يشكلون فريق واحدا يصح تسميته " الفريق الثالث " ومهمته ضرب الاسلام وتمزيق المسلمين " [٥٣] .

لقد كان سعيه من اجل اذكاء نار الفتنة وقطع السبيل على من تسول لهم نفسهم المتاجرة بالدين , وبث الفرقة بين الناس لأغراض مختلفة , وعلى رأسها الاغراض السياسية . ويستدل مغنية على ذلك في ان الاجتهاد لم يبرز للوجود الا حين ضعفت السيطرة الأجنبية واتباعها , لان الاجتهاد يمثل خطر كبيرا على الحاكم الظالم من حرية الرأي ولا سبيل له الا بسد ذلك الباب [٥٤] . و ليس هذا فحسب انما يزداد الامر سوءا حين يستخدم هؤلاء الحكام الدين في تسويغ دورهم وهذا ما عمل عليه الساسة في كل عصر وهم بذلك يبثون روح العداء والتعصب عن طريق الدين [٥٥] .

كذلك من اسباب " بقاء قوة سلطان الخلاف والنزاع هو انتشار الجهل ، وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي ينتسبون إليها ، وبجاهها يعيشون ويكرمون . وتأييد الأمراء والسلاطين لهم ، استعانة بهم على إخضاع العامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلي على الأمة , لأَنَ هذا أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينًا لهم مِما يحبون من الفساد والإفساد " [٥٦] . و مما لا يخفى على احد ان التعصب والانحياز الى مذهب دون اخر له اثر كبير في موارد الخلاف والتفرقة المذهبية " فالتعصب صفة تطلق على الاشخاص الذين يتصفون بالشدة والقسوة في احكامهم وتصرفاتهم مع الاخرين , والذين تأسرهم وتحيط بهم فكرة معينة لا يتجاوزونها ويرتبطون بها دون اي احتمال للانفكاك عنها , ويعيشون حالة الاستنفار المطلق

للمدافعة ، والمحاماة عن فكرتهم وموقفهم خطأ ام صواب " [٥٧] . وبالتالي فأن التعصب لمذهب هو تعصب للفرد , تعصب لصاحب المذهب بالذات " لا تعصب للإسلام , ولا لمبدأ من مبادئه , واذا كان لابد لنا من التعصب فلنتعصب للدين , للإسلام , لا لمذهب من مذاهبه , على ان يكون معنى تعصبا للإسلام هو الحرص على تعاليمه , واحترام شعائره , والدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة , نتعصب للإسلام ببث روح الالفة والتآخي بين المسلمين جميعا " [٥٨] .

**مشروع التقريب والاصلاح :-**

بعد ذكر ما تقدم نصل الى توضيح ان خطاب التقريب عند محمد جواد مغنية لا يقتصر فقط على بناء المشتركات بين المذاهب واعادة رأب الصدع بينها وانما يتطلع الى ضرورة تجديد الفكر الديني واعادة بناء مقولاته الكلامية والفقهية , ولا يعني التجديد هنا ربط حلقة الوصل مع التراث والانقطاع اليه , وكذلك لا يعني السير خلف الانظمة الفكرية الحداثية بلا وعي , انما هو اعادة بناء عقل الانسان المسلم و وصله مع مصادر العقيدة من الكتاب والسنة من خلال احياء الشريعة في العصر الحديث والتوفيق بين العقل والنقل , اذن هو عملية فهم الدين بعد ان تغيرت صورته بسبب التحديات التي عصفت بالمجتمع الاسلامي متمثلة بالاتجاهات الفكرية المنحرفة التي شوهت حقيقة الدين الاسلامي , لذلك اصبح المسلمون بحاجة الى استعادة دورهم الفاعل من خلال الوعي المعرفي الذي يمكنهم من استلهام القوة لتجديد مناهج الفهم الصحيح للعقيدة حتى تنسجم مع متطلبات الانسان المسلم في حياته المعاصرة . فبعد الثورة الحضارية والتقدم الصناعي وما رافقه من التقدم العلمي والثقافي الذي احرزه الغرب , يقابله التراجع والانحطاط والتدهور الذي خلفه الاستعمار , ثم بعد ذلك حروب الاستقلال في العالم العربي , اصبح الانسان بحاجة الى طرح جديد في علم الكلام يتناسب مع تحديات العصر وحاجات المسلمين .

لقد تمثلت ازمة الاسلام والمسلمين المعاصرة فيما تركه الغزو الثقافي من اثار وتبعات حملت المجتمع الاسلامي ازمات اثقلت كاهله على المدى البعيد , تمثلت في زرع حالة من " جهل كل طرف اسلامي بالآخر و تعامله معه من خلال ذاكرة مذهبية قديمة واليات علم كلام هرم , صنف المخالف من اهل القبلة تصنيفات مهينة تتراوح بين مبتدع وفاسق وعاص وخارج عن الملة وكافر " [٥٩] .. فأصبح الانسان المسلم المعاصر بأمس الحاجة الى الحوار مع الاخر ممن خالفهم المذهب والمعتقد , بعد ان باعدت بينهم الخلافات المذهبية . فاتجه عدد كبير من العلماء والمفكرين الى التجديد في مقولات علم الكلام وجعل خطاب التقريب هو الخطوة التي باركت هذه الحركة التي برزت معالمها مع جماعة التقريب بالقاهرة , وهو صوت صرح بالتجديد مشروعا ومنهجا وغاية , واكتفى بالتجديد الضمني الصامت , وهناك صوت اخر نشط من خارج اطار جماعات التقريب ولكنه كان يخدم التقريب بطريقة او بأخرى من خلال تصريحه بضرورة تجديد علم الكلام وايجاد علم كلام جديد يناسب الانسان المسلم ويقوم له انسانيته التي تعثرت بمطبات الخلاف وتبادل التهم والتكفير المضاد [٦٠] .

ولكن على رغم قيام حركات التجديد التي بادر بها العلماء والمفكرون فأن ثمة مشاكل واجهت تلك الخطوات الجريئة , تمثلت بالمؤسسات الدينية الرسمية , والجماعات المتشددة ، التي رفضت التعامل مع النص الديني بما يضمن التعبير عن انسجامه وروح العصر و ابعاده عن التشدد والتطرف . متجاهلة ان تجديد الخطاب هو نهاية تجديد لآليات وطرق التواصل التي لم تعد تفي بمتطلبات الانسان المعاصر ، في ظل التطور المتسارع اذ بات للكلمة والصوت والصورة وقع كبير في أساليب تمثل الرسالة المبثوثة . فهو اذن تجديد في الوسائل والاليات لفهم النص بعيدا عن المساس بمكوناته . إنه الوسيلة الناجعة لضمان تمثل النص عند المتلقي بصيغته المثلى . و هذا ما عمل عليه محمد جواد مغنية من خلال :

اولا :- اعادة احياء اثار الكبار من علماء الفقه والكلام ولكن بلغة معاصرة , ومنهاج حداثي يعالج المستجدات التي تُثار وتطرح على مائدة الفقه والشريعة في الوقت الحاضر , وان يتولى تلك المهام من هم اهل لذلك من العلماء والباحثين في مجال العقيدة .

ثانيا :- من خلال تفسير القرآن وقراءة نصوصه وفقا لما يتماشى مع العصر ، ووفقا لما يؤدي دورا فاعلا نحو حداثة متقدّمة ، انطلاقا من أنّ القران الكريم منتج قابل لإعادة التّدوير والقراءة , لما يتميز به من نظرة عامة وشمولية للأمور و في كل زمان ومكان , فكان لابد من مواجهة تحديات الحضارة العالمية

ووضع اجابات لا تستند على الاجتهاد ولا تأخذ من اقوال الماضين , بل من خلال النصوص القرآنية , فانجز مشروعه الموسوعي في التفسير الكاشف .
ان ما تميز به مغنية بوصفه رجل دين ومفسر للقران هو انفتاحه على الرأي الفلسفي وهذا قلما نجده عند علماء الدين , كما انه تعامل مع النص القرآني بفهم كلامي جديد , وهذا الفهم لا يقوم الا على اساس الرؤية الصائبة والتحليل المنطقي للأسباب التي خلفت الواقع المرير للإسلام , فيستند هذا الفهم الى الاصلاح من داخل بنية الاسلام وينطلق منها .
ثالثا :- الربط بين نصوص القران وواقع الحياة وقضايا الانسان , واستنطاق تلك النصوص من خلال العمل باعتبار ان لا حياة للنص الا بتطبيقه " ان النصوص ليست سوى حروف جامدة لا حياة لها الا بالتطبيق والعمل " [٦١] .

**الخاتمة :**

في ختام بحثي الموسوم ( منهج التقريب بين المذاهب الاسلامية : مشروع التقريب عند محمد جواد مغنية انموذجا ) توصلت الى بعض النتائج المهمة في مسألة التقريب ولاسيما عند محمد جواد مغنية وقد اجملت هذه النتائج على شكل نقاط :
اولا : ان مشروع التقريب لا يمكن ان يقام الا على ارضية وجود اختلاف مسبق وابتعاد وتشتت في الآراء , ولما كان المسلمون امة واحدة يدينون بدين واحد ويؤمنون بنبوة الانبياء وكلام الله فلابد اذن من وجود اسباب لتشظي هذه الامة الواحدة ومعرفة الاسباب هي الخطوة الاولى على طريق التقريب , وطالما ينظر الى هذه الاسباب انها تعود الى مسألة خلاف المسلمين حول الخلافة بعد النبي محمد صلى الله عليه واله فأن ذلك سيؤدي الى الخلط بين مفهوم الخلاف والاختلاف فقد تضمنت مسألة الخلافة او الامامة بعد الرسول ان يكون هناك خلاف واختلاف ولا شك ان هناك فرق بين المعنى لهذين المفهومين فالاختلاف مسألة طبيعية وتعد ايجابية بينما الخلاف هو ما لا يمكن ان يجمع وجهات النظر المتباينة لانه لا يتقبل الاخر .
ثانيا : ان منهج مغنية واسلوبه المنفتح وتعامله مع نصوص القران الكريم من خلال تفسير القرآن وقراءة نصوصه وفق ما يتماشى مع العصر ، ووفق ما يؤدي دورا فاعلا نحو حداثة متقدّمة ، انطلاقا من أنّ القران الكريم منتج قابل لإعادة التّدوير والقراءة , لما يتميز به من نظرة عامة وشمولية للأمور و في كل زمان ومكان , فكان لابد من مواجهة تحديات الحضارة العالمية ووضع اجابات لا تستند على الاجتهاد ولا تأخذ من اقوال الماضين , بل من خلال النصوص القرآنية جعلت من السهل عليه ان ينظر الى الاخر وفق النظرة الكونية الى الانسان على انه اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق .

المصادر والمراجع


- إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله أحمد , المعجم الوسيط , مكتبة الشروق الدولية , جمهورية مصر العربية , الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- الأصبهاني أبو الفرج : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي ، (المتوفى: ٣٥٦هـ) , تحقيق : السيد أحمد صقر , دار المعرفة ، بيروت
- البستاني : بطرس , محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية , مكتبة لبنان , طبعة جديدة ١٩٨٧
- جريشا : د. علي محمد , الزيبق : محمد شريف , اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي , دار الاعتصام , الطبعة الثالثة , ١٩٧٩ – ١٣٩٩
- رستم : سعد , الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات النشأة . التاريخ . العقيدة . التوزع الجغرافي الاوائل للنشر والتوزيع , الطبعة الثالثة , ٢٠٠٥

- الزاوي : احمد الطاهر , مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير , بلا ط
- الصفار : حسن ، الحوار والانفتاح على الاخر ، حسن ، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت
- فضل الله : الدكتور هادي , محمد جواد مغنية فكر واصلاح , دار الهادي , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م
- العاملي : محسن الامين , اعيان الشيعة , تحقيق حسن الامين , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , ١٩٨٣
- عبد الحليم : الدكتور علي , الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – القسم الاول , ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد سعود الاسلامية – ١٤٠١ ١٩٨١
- ابو العز : عزمي زكريا , التقريب بين المذاهب في الفكر الاسلامي الحديث , مؤسسة مؤمنون بلا حدود , ٢٠١٥ م بلا ط
- العلواني : الدكتور طه جابر فياض , ادب الاختلاف في الاسلام , الامة – سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر , الطبعة الاولى , ١٤٠٥ هـ
- ابن فارس : ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا , معجم مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام محمد هارون , الجزء السادس , دار الفكر للطباعة والنشر
- ابن فارس : ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا , معجم مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام محمد هارون , الجزء السادس , دار الفكر للطباعة والنشر
- الزاوي : احمد الطاهر , مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير , بلا ط
- ١٣٤- كسار : جواد علي , محمد جواد مغنية حياته ومنهجه في التفسير الكاشف , بيروت , ط١ , ١٤٢٠ ه – ٢٠٠٠م
- مبارك : علي , تجديد الكلام في الامامة ودعاوى تجديد علم الكلام , رسالة الاسلام و رسالة التقريب , قسم الدراسات الدينية , مؤسسة دراسات وابحاث مؤمنون بلا حدود
- المحرقي : علي – محمد جواد مغنية سيرته وعطاؤه ,, البحرين , ط١ , ١٩٩٧
- مغنية : محمد جواد, تجارب محمد جواد مغنية بقلمه , عبد الحسين مغنية , تحقيق رياض الدباغ , , مطبعة مهر , قم , ط ١ , ١٤٢٥
- مغنية : محمد جواد , معالم الفلسفة الاسلامية نظرات في التصوف والكرامات , دار مكتبة الهلال , دار الجواد , بيروت – لبنان , الطبعة السادسة , ١٩٩٣ م
- مغنية : محمد جواد , الاسلام مع الحياة دراسة في ضوء العقل والتطور , دار العلم للملايين – بيروت , الطبعة الثالثة , ١٩٧٩ م
- مغنية : محمد جواد , مقالات الشيخ محمد جواد مغنية , دار الجواد , بيروت – لبنان , الطبعة بلا
- مغنية : محمد جواد , الفقه على المذاهب الخمسة , مؤسسة الصادق للطباعة والنشر , ايران – طهران , الطبعة الرابعة , ١٣٧٧ه – ١٩٩٨ م
- مغنية : محمد جواد , الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة , تحقيق عبد الحسين مغنية , عز الدين للطباعة والنشر , بلا

- مغنية : محمد جواد , الفقه على المذاهب الخمسة , مؤسسة الصادق للطباعة والنشر , ايران – طهران , الطبعة الرابعة , ١٣٧٧ه – ١٩٩٨
- مغنية : محمد جواد , الشيعة والحاكمون , منشورات الرضا , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ١٤٣٣ – ٢٠١٢
- مغنية : محمد جواد , فقه الامام جعفر الصادق ( عرض واستدلال ) الجزء الاول والثاني , مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر , قم , الطبعة الثانية , ١٤٢١ – ١٣٧٩ هـ
- المقري : العلامة احمد بن محمد بن علي الفيومي , المصباح المنير – معجم عربي – عربي , مكتبة لبنان , ١٩٨٧
- http://www.taddart.org/?p=١٢٧٢٠ التقريب بين المذاهب والتقنين الفقهي , علي عبد الباقي شحاته
- http://www.maaber.org/issue_june٠٥/spotlights٢.htm مفهوم الوحدة , محمد علي عبد الجليل
- سلسلة المعارف الاسلامية , ١٤٣٢دراسات في المذاهب الاسلامية , مركز المعارف الاسلامية الثقافية , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ٢٠١١
- وحدة الامة الاسلامية في السنة النبوية دراسة موضوعية , بحث مقدم من اعداد الطالب احمد منصور ابو عوده
- الصفار : حسن , العصبية والتعصب , مؤسسة البعثة ، بيروت / ٤٤٢ ، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت


الهوامش

١ - نقلا عن : الهادي : جعفر , في ظل اصول الاسلام – محاضرات الاستاذ المحقق جعفر السبحاني , مؤسسة الامام الصادق للنشر والتأليف – قم , الطبعة الاولى , ٢٠١١ , ص ١٥

٢ - رستم : سعد , الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات النشأة . التاريخ . العقيدة . التوزع الجغرافي الاوائل للنشر والتوزيع , الطبعة الثالثة , ٢٠٠٥ , ص ٧٥

٣ - مركز نون للتأليف والترجمة , دراسات في المذاهب الاسلامية , جمعية المعارف الاسلامية الثقافية , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ٢٠١١- ١٤٣٢ , ص ١٤

٤ - رستم : سعد , الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات , ص ٢٨

٥ - الأصبهاني أبو الفرج : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي ، مقاتل الطالبيين , تحقيق : السيد أحمد صقر , دار المعرفة ، بيروت , ص ١٥٣

٦ - ينظر : رستم : سعد , الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات , ص ٦٨

٧ - المصدر نفسه , ص ٨٢

٨ - إبراهيم أنيس و اخرون , المعجم الوسيط , مكتبة الشروق الدولية , جمهورية مصر العربية , الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م , ص ٧٢٣

٩ - المقري : العلامة احمد بن محمد بن علي الفيومي , المصباح المنير – معجم عربي – عربي , مكتبة لبنان , ١٩٨٧ , ص ٦٩

١٠ - ينظر: الأصفهاني : الراغب , مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢، دار القلم ، دمشق ، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ص٢٩٤.

١١ - ابو العز : عزمي زكريا , التقريب بين المذاهب في الفكر الاسلامي الحديث , مؤسسة مؤمنون بلا حدود , الرباط , ٢٠١٥ م بلا ط

١٢ ـ الانبياء : الآية ٩٢
١٣ - مفهوم الوحدة , محمد علي عبد الجليل http://www.maaber.org/issue_june٠٥/spotlights٢.htm
١٤ - ابن فارس : ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا , معجم مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام محمد هارون , الجزء السادس , دار الفكر للطباعة والنشر , ص ٩٠
١٥ - الزاوي : احمد الطاهر , مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير , بلا ط , ص ٦٥٠
١٦ - المصدر نفسه , ص ٦٥٠
١٧- نقلا عن : وحدة الامة الاسلامية في السنة النبوية دراسة موضوعية , بحث مقدم من اعداد الطالب احمد منصور ابو عوده ص ١٧- مغنية : محمد جواد, تجارب محمد جواد مغنية , تحقيق رياض الدباغ , , مطبعة مهر , قم , ط ١ , ١٤٢٥, ص ٢

١٩ ـ المؤمنون : الآية : ٥٢
٢٠ ـ ال عمران : الآية : ١٠٣
٢١ ـ الحجرات : الآية : ١٠
٢٢ ـ الانفال : الآية : ٤٦
٢٣ ـ التوبة : الآية ٧١
٢٤ ـ ينظر الصفار : حسن ، الحوار والانفتاح على الاخر ، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت , ص ١٩
٢٥ - الزاوي , مختار القاموس , ص ١٦٠
٢٦ - مجموعة مؤلفين , المعجم الوسيط , ص ٢٠٥
٢٧ - البستاني : بطرس , محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية , مكتبة لبنان , طبعة جديدة ١٩٨٧ , ص ٢٠٣
٢٨ - مجموعة مؤلفين , المعجم الوسيط , ص٢٠٥
٢٩ - المحرقي : علي – محمد جواد مغنية سيرته وعطاؤه ,, البحرين , ط١ , ١٩٩٧, ص١٥
٣٠ - العاملي : محسن الامين , اعيان الشيعة , تحقيق حسن الامين , دار التعارف للمطبوعات , بيروت , ١٩٨٣ , ص ١١٠
٣١ - مغنية , تجارب محمد جواد مغنية بقلمه , ص ٣١
٣٢ - كسار , محمد جواد مغنية منهجه و موارده في التفسير الكاشف , ص٢٨
٣٣ - ينظر : المصدر نفسه , ص٢٨
٣٤ - ينظر : مغنية : محمد جواد , معالم الفلسفة الاسلامية نظرات في التصوف والكرامات , دار مكتبة الهلال , بيروت – لبنان , الطبعة السادسة , ١٩٩٣ م ص ٢٢- ٢٤
٣٥ - ينظر : المصدر نفسه , ص ٤٩ – ٥٠
٣٦ - المصدر نفسه , ص ٥٣
٣٧ - البقرة : الآية ١١٣
٣٨ - ينظر : مغنية , تجارب محمد جواد مغنية بقلمه , تحقيق رياض الدباغ , , مطبعة مهر , قم , ط ١ , ص ١٦٧
٣٩ - ينظر : فضل الله : الدكتور هادي , محمد جواد مغنية فكر واصلاح , دار الهادي , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م ,غ ص ١٠٠
٤٠ - مغنية : تجارب محمد جواد مغنية بقلمه , ص ٢٢٤
٤١ - العلواني : الدكتور طه جابر فياض , ادب الاختلاف في الاسلام , الامة – سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر , الطبعة الاولى , ١٤٠٥ هـ , ص ٢٦
٤٢ - الغزو الفكري هو ان تتبنى امة من الامم – وبخاصة الامة الاسلامية – معتقدات وافكار لامة اخرى من الامم الكبيرة – وهي غير اسلامية – دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الامة الاسلامية – في اي قطر من اقطارها – وتبديد لمستقبلها , فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها , وما يترتب على هذا الصرف من ضياع اي ضياع , اذ لا يوجد مذهب سياسي او اقتصادي او اجتماعي يغني الامة الاسلامية عن منهجها الالهي , ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان " . ( الغزو الفكري والثقافي والتيارات المعادية للإسلام ص ٩ )
٤٣ - جريشا : د. علي محمد , الزيبق : محمد شريف , اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي , دار الاعتصام , الطبعة الثالثة , ١٩٧٩ – ١٣٩٩ , ص ٢٠
٤٤ - عبد الحليم : الدكتور علي , الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – القسم الاول , ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد سعود الاسلامية – ١٤٠١ ١٩٨١ , ص ١٩

٤٥ - عبد الحليم : الدكتور علي , الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – القسم الاول , ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد سعود الاسلامية – ١٤٠١ ١٩٨١ , ص ٢٠
٤٦ - مغنية : محمد جواد , الاسلام مع الحياة دراسة في ضوء العقل والتطور , دار العلم للملايين – بيروت , الطبعة الثالثة , ١٩٧٩ م ص ٦١
٤٧ - المصدر نفسه , ص ٦٢
٤٨ - ينظر: مغنية : محمد جواد , مقالات الشيخ محمد جواد مغنية , دار الجواد , بيروت – لبنان , الطبعة بلا , ص ٧٢
٤٩ - ينظر : مغنية : محمد جواد , الفقه على المذاهب الخمسة , مؤسسة الصادق للطباعة والنشر , ايران – طهران , الطبعة الرابعة , ١٣٧٧ه – ١٩٩٨ م , ص ٨
٥٠ - ابن فارس , معجم مقاييس اللغة , ص ٤٨٧
٥١ - مغنية : محمد جواد , تجارب محمد جواد مغنية بقلمه , ص ٢٣١
٥٢ - المصدر نفسه , ص ٢٤٩
٥٣ - مغنية : محمد جواد , الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة , تحقيق عبد الحسين مغنية , عز الدين للطباعة والنشر , بلا تاريخ , ص ٩
٥٤ - ينظر : مغنية : محمد جواد , الفقه على المذاهب الخمسة , مؤسسة الصادق للطباعة والنشر , ايران – طهران , الطبعة الرابعة , ١٣٧٧ه – ١٩٩٨ , ص ٩
٥٥ - ينظر : مغنية : محمد جواد , الشيعة والحاكمون , منشورات الرضا , بيروت – لبنان , الطبعة الاولى , ١٤٣٣ – ٢٠١٢ , ص ١٥٣
٥٦ - نقلا عن : شحاته : علي عبد الباقي : http://www.taddart.org/?p=١٢٧٢٠ التقريب بين المذاهب والتقنين الفقهي
٥٧ - الصفار , حسن , التعصب والعصبية , مؤسسة البعثة ، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ص ٦٤
٥٨ - مغنية , تجارب محمد جواد مغنية بقلمه , ص ٢٢٩
٥٩ - مبارك : علي , تجديد الكلام في الامامة ودعاوى تجديد علم الكلام , رسالة الاسلام و رسالة التقريب , قسم الدراسات الدينية , مؤسسة دراسات وابحاث مؤمنون بلا حدود , ص ٣
٦٠ - ينظر : المصدر نفسه , ص ٨
٦١ - مغنية : محمد جواد , فقه الامام جعفر الصادق ( عرض واستدلال ) الجزء الاول والثاني , مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر , قم , الطبعة الثانية , ١٤٢١ – ١٣٧٩ هـ , ص ٤.